



# الجنون والقمر

Dr. SCOTT O. LILIENFELD and Dr. HAL ARKOWITZ

ترجمة: فريق البيضاء للترجمة



لقد تكرر عبر القرون التلفظ بعبارة: "لا بد أن يكون القمر مكتملا" في محاولة لتفسير الأحداث الغريبة التي تحدث في الليل. بل إن "لونا" وهي "إلهة القمر" عند الرومان حملت اسمًا لا يزال مألوفًا لنا اليوم، وهو بادئة لكلمة "مجنون" أو Lunatic المستخدمة في اللغة الإنجليزية.

أشار الفيلسوف اليوناني "أرسطو" والمؤرخ الروماني "بليني الأكبر" أن الدماغ هو العضو "الأكثر رطوبة" في الجسم ، وبالتالي فهو الأكثر عرضة للتأثيرات الضارة للقمر، والتي تسبب المد والجزر.

استمر الاعتقاد بـ"تأثير الجنون القمري"، أو "تأثير ترانسيلفانيا" Transylvania Effect، كما يطلق عليه أحيانًا، في أوروبا خلال العصور



الوسطى ، عندما شاع الإيمان بتحول البشر إلى ذئاب ضارية أو مصاصي دماء أثناء اكتمال القمر.

ولا يزال كثير من الناس اليوم يعتقدون بأن القوى الغامضة للبدر تحفز السلوكيات البشرية غير السوية، وتتسبب في زيادة مرتادي المصحات النفسية، ونسب الانتحار، وجرائم القتل، والمكالمات الواردة للطوارئ، وأعداد حوادث المرور، وحتى المشاجرات في ألعاب الهوكي الاحترافية، وعضات الكلاب ، وأنواع من الأحداث الغريبة.

بل قد كشفت إحدى الدراسات الاستقصائية أن ٤٥ % من طلاب الجامعات يعتقدون أن البشر الذين أصيبوا "بضربات القمر" تظهر عليهم سلوكيات غير عادية ، وتشير استطلاعات أخرى إلى أن المتخصصين في الصحة العقلية ربما لا يزالون أكثر عرضة للإيمان بهذه القناعة من غيرهم من الأشخاص العاديين.

وفي عام ٢٠٠٧ ، أضافت العديد من إدارات الشرطة في المملكة المتحدة ضباطًا في ليالي اكتمال القمر في محاولة للتعامل مع الارتفاع "المفترض" لمعدلات الجريمة.



## تأثير الماء ؟

توقع بعض المؤلفين المعاصرين، من بعد أرسطو وبليني الأكبر، كالطبيب النفسي "أرنولد ليبر" من مدينة ميامي ، أن التأثيرات المفترضة للبدر على السلوك تنشأ من تأثيره على الماء. وبما أن جسم الإنسان يتكون من حوالي ٨٠ % من الماء، فقد يقوم القمر بقواه "السحرية الشريرة" بالتسبب في اختلال تنظيم جزيئات الماء في الجهاز العصبي بطريقة ما.

إلا إن هناك ثلاثة أسباب -على الأقل- تجعل هذا التفسير لا يصمد.

أولاً ، إن تأثيرات الجاذبية للقمر ضئيلة للغاية بحيث لا يمكن أن تولد أي تأثيرات ظاهرة على نشاط الدماغ، ناهيك عن السلوك. وقد أشار عالم الفلك الراحل "جورج أبيل" - من جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس - إلى أن البعوضة التي تقع على ذراع أحدنا تولد جاذبية أكثر قوة مما يولده القمر. وحتى الآن ، على حد علمنا ، لم تكن هناك تقارير تنشر عن "تأثير جنون البعوض"!

ثانيًا ، تؤثر قوة جاذبية القمر على المسطحات المائية المفتوحة فقط ، مثل المحيطات والبحيرات ، ولكنها لا تؤثر على مصادر المياه المحتواة ، مثل الدماغ البشري.



ثالثًا ، لا فرق بين قوة تأثير الجاذبية للقمر أثناء الأقمار الجديدة - عندما يكون القمر غير مرئي بالنسبة لنا - وبين تأثيرها أثناء اكتمال القمر.

لكن هناك إشكالية أكثر جدية تواجه المؤمنين المتحمسين بتأثير الجنون القمري، وهي: **انعدام الدليل على وجوده.**

قام "جيمس روتون" ( عالم النفس بجامعة فلوريدا الدولية ) ، و"روجر كلفر" ( عالم الفلك في جامعة ولاية كولورادو ) ، و "إيفان دبليو كيلي" ( الطبيب النفسي بجامعة ساسكاتشوان ) بالبحث -على نطاق واسع جدا- عن أي تأثيرات سلوكية ثابتة للقمر.

وفي جميع محاولاتهم لم يتمكنوا من إيجاد **أي تأثير.**

وبجمع نتائج دراسات متعددة ومعاملتها كما لو كانت دراسة واحدة ضخمة - في إجراء إحصائي يسمى "التحليل الشمولي" meta analysis - وجدوا أن اكتمال القمر ليس له أي تعلق بالأحداث، بما في ذلك الجرائم والانتحار والمشاكل النفسية والمكالمات الواردة لمراكز الأزمات.

وفي تقرير لهم كان بعنوان "الكثير من اللغط حول البدر" تناول ٣٧ دراسة في الموضوع، ونشر عام ١٩٨٥ في إحدى المجلات البارزة في علم النفس: Psychological Bulletin ، قدم "روتون" و"كيلي" فكرة تأثير البدر



بأسلوب طريف ساخر، وخلصا إلى أن إجراء المزيد من الأبحاث العلمية حول الموضوع ليس له لازم.

إلا أن النقاد المصرون لم يتقبلوا هذا الاستنتاج، وأشاروا إلى بعض النتائج المؤيدة لتأثير البدر والتي ظهرت في بعض الدراسات المتفرقة. ومع ذلك، فإن هذه الدراسات القلائل التي يبدو تأييدها لدعاوى تأثير البرد تتهاوى وتسقط عند التفحص الدقيق.

ففي إحدى الدراسات التي نُشرت عام ١٩٨٢ ، أفاد فريق المؤلفين أن حوادث المرور كانت أكثر تواتراً في ليالي البدر منها في الليالي الأخرى. لكن عيبًا فادحًا أفسد هذه النتائج وهو: أنه في الفترة التي أجريت فيها تلك الدراسة، كان القمر الكامل يوافق عطلات نهاية الأسبوع، عندما يكثر خروج الناس وقيادتهم للسيارات. وعندما أعاد المؤلفون تحليل بياناتهم للتخلص من هذا العامل المربك ، **اختفى أي مؤشر للتأثير القمري**.

## من أين نشأ الاعتقاد ؟

إذا قلنا بأن "التأثير القمري" مجرد أسطورة فلكية ونفسية وحضرية، فلماذا ينتشر الاعتقاد به على هذا النحو؟



هناك عدة أسباب محتملة.

لا شك أن التغطية الإعلامية تؤدي دورًا في ذلك، ففي هوليوود تصور العشرات من أفلام الرعب ليالي البدر على أنها أوقات الذروة للأحداث المخيفة، مثل: الطعن وإطلاق النار والسلوكيات الذهانية.

لكن لعل الأهم من ذلك، ما وضحته الدراسات من أن العديد من الناس يقعون فريسة لظاهرة أطلق عليها علماء النفس في جامعة ويسكونسن ( د. ماديسون لورين و د.جان تشابمان ) : "الارتباط الوهمي"، وهو: **تصور وجود ارتباط غير موجود في الواقع.**

فعلى سبيل المثال: يصر العديد من الأشخاص الذين يعانون من آلام المفاصل على أن آلامهم تزداد أثناء الطقس الممطر، رغم أن الأبحاث تشكك بهذا الارتباط. وكالسراب الذي نلاحظه على الطرق السريعة خلال أيام الصيف الحارة، يمكن للارتباطات الوهمية أن تجعلنا نظن أننا نشاهد بعض الظاهر رغم عد وجودها في الحقيقة.

تنتج "الارتباطات الوهمية" - جزئيًا - من ميل عقولنا لاستحضار واستدعاء وتذكر الأحداث التي وقعت، وعدم الانتباه لتلك التي لم تقع. فعندما يكتمل القمر ويحدث شيء غريب فعلا، فإننا نلاحظه عادة، ونتذكره ونخبر به



الآخرين. نحن نفعل ذلك لأن مثل هذه الأحداث المشتركة تتناسب مع تصوراتنا المسبقة.

بل قد أظهرت إحدى الدراسات أن الممرضين النفسيين الذين يؤمنون بتأثير القمر دونوا ملاحظات أكثر حول السلوك الغريب للمرضى من الممرضين الذين لا يؤمنون بهذا التأثير.

وفي المقابل ، عندما يكون هناك قمر مكتمل ولا يحدث أي شيء غريب، فإن هذا الـ "لا حدث" يتلاشى بسرعة من ذاكرتنا. وكنتيجة لاسترجاعنا الانتقائي، فإننا نشكل ارتباطا خاطئا بين اكتمال القمر وعدد لا يحصى من الأحداث الغريبة.

ومع ذلك ، فإن تفسير الارتباط الوهمي ، على الرغم من أنه ربما يكون جزءًا مهمًا من اللغز ، لا يفسر كيف بدأت فكرة تأثير البدر.

قد الطبيب النفسي "تشارلز إل رايسون"، الذي يعمل حاليًا في جامعة إيموري - بالإضافة إلى العديد من زملائه - تفسيرا مثيرا للاهتمام، فوفقًا لرأي "رايسون" : قد يكون للتأثير القمري أصل يحمل نواة صغيرة من الحقيقة، بمعنى أنه ربما كان له أثر فعلي في يوم من الأيام.

يتوقع "رايسون" أنه قبل ظهور الإضاءة الكهربائية الخارجية في العصر الحديث، حرم الضوء الساطع للقمر المكتمل الأشخاص الذين يعيشون في



الخارج - بما في ذلك العديد ممن يعانون من اضطرابات عقلية حادة - من النوم.

ونظرًا لأن الحرمان من النوم غالبًا ما يؤدي إلى سلوك غير منتظم لدى الأشخاص الذين يعانون من حالات نفسية معينة، مثل الاضطراب ثنائي القطب ( المعروف سابقًا بالاكتئاب الهوسي ) ، فقد يكون البدر مرتبطًا بمعدل مرتفع من السلوكيات الغريبة في العصور القديمة.  لذا فإن تأثير الجنون القمري، حسب تعبير "رايسون" وزملائه ، هو  في الواقع "أحفورة ثقافية".

قد لا نتوصل أبدًا لمعرفة ما إذا كان هذا التفسير العبقري صحيحًا. ولكن في عالمنا اليوم - على الأقل - يبدو أن فكرة تأثير "الجنون القمري" ليست أفضل من فكرة أن القمر مصنوع من الجبن الأخضر !

نُشرت هذه المقالة في الأصل بعنوان :

"Facts & Fictions in Mental Health: Lunacy and the Full Moon" in SA Mind 20, 1, 64 (February 2009)

ABOUT THE AUTHOR(S)

SCOTT O. LILIENFELD and HAL ARKOWITZ serve on the board of advisers for Scientific American Mind. Lilienfeld is a psychology professor at Emory University and Arkowitz is a psychology professor at the University of Arizona.